مجلة دراسات في اللّغة العربية وآدابها، نصف سنويّة دوليّة محكّمة،
السنة التاسعة، العدد الثامن والعشرون، خريف وشتاء ١٣٩٧هـ. ش/٢٠١٩م
صص ٨٥- ١٠٦ **DOI:** 10.22075/lasem.2019.16248.1136

جدلية المثقّف والعنف وتجلياتها في رواية "ذاكرة الماء" لواسيني الأعرج

إسماعيل نادري* وبي بي راحيل سن سبلي** ومحمدمهدي روشن چسلي***

الملخص

شهدتْ الجزائر في فترة مابعد الاستعمار، عنفاً حصد أرواح الآلاف من الجزائريين نتيجة للظروف السياسية والدينية والإجتماعية. وقد كان المثقفون آنذاك في مركز العنف فانعكس هذا الأمر في الرواية. تهدف هذه الدراسة إلى دراسة العنف وتجلياته وجدليّة العنف مع المثقّف في خطاب واسيني الأعرج، الروائي الجزائري المعاصر من خلال روايته «ذاكرة الماء». تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي- التحليلي والنتائج تشير إلى أنّ أنماط العنف الذي يواجهه المثقّف في هذه الرواية هي: العنف السياسي، العنف الديني والعنف الجنسي. وتتمثل أشكال العنف السياسي في: الاعتقال، الاتهام بالجنون، السجن، التعذيب لكنّ هذه الأمور لاتمنع المثقفين من النضال ضد العنف. أمَّا أشكال عنف المتطرفين ضدّ المثقّف فتتمثل في: الملاحقة، ارسال الرسائل العنيفة، الاغتيال، الإنذارات والشعور بفقدان الأمن. وقد جاءت ردود فعل المثقفين إزاء العنف بطرق مختلفة، إذ يظهر الاختلاف الايديولوجي بينهم: الالتزام، الانتهازية، الصمت والمحايدة أو المهاجرة. ويتجلّى العنف في الفضاء الروائي، من خلال اللغة والذاكرة والأحلام والإعلام.

كلمات مفتاحية: الرواية الجزائرية، واسيني الأعرج، ذاكرة الماء، العنف، المثقّف

* – أستاذ مساعد في جامعة بيام نور، إيران. (الكاتب المسؤول) البريد الإلكتروني: E.naderi@pnu.ac.ir
** – مدرّسة في جامعة المصطفى العالمية، إيران.
*** – أستاذ مساعد في جامعة بيام نور، إيران.

تاريخ الوصول: ١٣٩٧/٠٩/٢٣هـ.ش= ٢٠١٨/١٢/١٤م تاريخ القبول: ١٣٩٨/٠٣/١٥ هـ.ش= ٢٠١٩/٠٦/٠٥م

المقدمة

تدور غالبية الآراء على أنّ الأدب مرتبط بالحياة، بل إن الحياة تنعكس في أدب العصر. وتمثل الرواية شكلاً من أشكال الأدب نستطيع أن نتعرّف من خلالها على التحولات السياسية والاجتماعية في المجتمع. وقد واجه الشعب الجزائري –بعد انتهاء فترة الاستعمار الفرنسي في الجزائر مشاكل قتصادية، جتماعية، سياسية وغيرها، ثم شهدت الجزائر حرباً أهليةً بين سنتي ١٩٩٢– ٢٠٠٢م فشاعت ظاهرة العنف الذي حصد أرواح آلاف الجزائريين.

وقد أثرت هذه المرحلة من تاريخ الجزائر على الأدب الجزائرى المعاصر، إذ إنّ الرواية الجزائرية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بقضايا الإنسان الجزائرى عامّة والمثقف الجزائرى خاصة وصارت أداة توثيقية لتسجيل الأزمة الجزائرية وحاولت أن تكون بنت بيئتها. «لقد شهدت الساحة الأدبية الجزائرية منذ بداية الأزمة عددا معتبرا من النصوص الإبداعية التي كان موضوعها الأزمة، لكن الرواية كان لها الحظ الأوفر نظرا لطبيعتها التي مكنتها من احتواء تلك التجربة الإنسانية إضافة إلى امتلاكها مقومات البعد الوظيفي المأساوي، واحتواء هموم الإنسان ماضياً وحاضراً ومستقبلاً»[١]. يقول حسين خمرى حول الرواية في التسعينيات: «ما تردد في روايات التسعينات تصوير وضعية ألم المثقف الذي وجد نفسه سجينا بين نار السلطة، وجحيم الإرهاب، وسواء كان أستاذاً أم كاتباً أم صحفياً أم رساماً أم موظفاً فإنهم يشتركون جميعا في المطاردة والتخفي، وهم يشعرون دوماً أن الموت يلاحقهم»[٢]

لذا اهتمّ الروائيون الجزائريون المعاصرون بأصداء العنف الذي شهدته الجزائر. فكتب «واسيني الأعرج» الروائيّ الجزائرى المعاصر، رواية «ذاكرة الماء» في السنوات التي تُسَمّى بالعشرية السوداء والأزمة. كما يصرّح بذلك في بداية الرواية «هذا النصّ ... كتب داخل اليأس والظلمة بالجزائر ومدن أخرى على مدار سنتين من الخوف والفجيعة بدءاً من شتاء ١٩٩٣ وأنهى بالجزائر في سنة ١٩٩٥ ذات يوم شتوي عاصف على واجهة بحر خال»[٣]. فالأعرج من الروائيين الذين اختاروا مذهب الواقعيّة في كتابة هذه الرواية.

---

[١]– حبيلة، **الرواية والعنف، دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة**، ص٢.

[٢]– خمري، **فضاء المتخيل– مقاربات في الرواية**،، ص ١٩٦.

[٣]– الأعرج، **ذاكرة الماء– محنة الجنون العاري**، ص ٩.

يقصّ الأعرج في هذه الرواية على قارئيه الوقائع السياسية والاجتماعية والثقافية للجزائر التي تخلّصت من الاستعمار، لكنّها واجهت العنف الداخلي والإرهاب والحرب الأهليّة وقضايا مثل: الأصوليّة والسلطة والمثقفين إلخ. فيمتزج الواقع والخيال في روايته ويعكس الظروف القاسية والأزمة ويتخذ العنف وكيفية سلوك المثقّف مع العنف في الثمانينات والتسعينات مادّةً لروايته؛ لأنّ الشخصيات التي توجد في رواية «ذاكرة الماء» غالبيتها من المثقفين الذين يتوزعون على الأدباء، المعلمين، الصحفيين، الشعراء، والأساتذة والفنانين وغيرهم.

هذه الدراسة تهدف الى دراسة كيفيّة الإنعكاس الأدبى للأزمة الجزائرية في رواية «ذاكرة الماء» لواسيني الأعرج و إبراز جدليّة المثقف والعنف الذي أدّى إلى ردود الفعل المختلفة للمثقفين وإظهار تجليات العنف الذي ميّز فضاء هذه الرواية. وتسعى أن تجيب على هذه الاسئلة: ما هي أنماط العنف التي يواجهها المثقّف في رواية ذاكرة الماء، وأيُّها أشدّ قسوة على المثقف؟ كيف يتعامل المثقّفون مع العنف في هذه الرواية؟ ما التقنيات الفنية التي استخدمها الأعرج لإبراز العنف في الرواية؟ وتفرض الفرضيات التالية: يشتد العنف الذي يمارسه المتطرف الديني ضد المثقفين لأن المثقفين متساهلون في المسائل الدينية؛ وإنّ غالبية المثقفين انتهازيون؛ ويتجلى العنف بصورة كبيرة في الفضاء الروائي ولغة الرواية.

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي- التحليلي وبعد التعريف بالكاتب واسيني الأعرج وروايته ذاكرة الماء، تنقسم إلى ثلاثة أقسام. في القسم الأول بحثنا في المثقف وأنماط العنف التى واجهها، تتطرقنا في القسم الثانى إلى دراسة ردود فعل المثقفين إزاء العنف وفي القسم الثالث درسنا تجليات العنف في الرواية ثمّ ختمنا بالنتائج.

توجد دراسات عديدة حول العنف أو المثقف. منها الكتب التالية: «صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة» (٢٠٠٨): للكاتبة سعاد عبدالله عنزى. عالجت فيه الكاتبة موضوع التطرف والعنف السياسي في حقبة التسعينيات واعتمدت على الروايات الجزائرية المكتوبة باللغة العربية وبحثت فيها جذور العنف وصوره، تجليات الحياة العنيفة ودراسة عناوين الروايات.

وكتاب «شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة» (١٩٨٥): للكاتب عبدالسلام محمد الشاذلي. تطرق الكاتب فيه إلى دراسة شخصية المثقفين في الروايات المصرية بين عامي ١٩٥٢- ١٩٨٢وبحث موقف المثقف في رواية التعليمية والرومانتيكية والواقعية.

ومن المقالات: مقالة «خشونت سياسى جمعى و دولتى و پيامدهاى آن در رمان آگوست صنع الله ابراهيم» (العنف السياسي الجماعيّ والحكوميّ وآثارها في رواية نجمة أغسطس لصنع الله ابراهيم)

(١٣٩٧): للباحثين فرامرز ميرزائی، يدالله هنری ومحبوبه رهبر تجارت. درس الباحثون العنف الجماعي والحكومي للمجتمع المصريّ موضّحين أنّ الانفعال والاعتزال وعدم الثقة والنفاق من آثار العنف الحكومي السلبية في هذه الرواية وأنّ مصدر الحرمان يتجلى في استبداد عبدالناصر وهو السبب الرئيس للعنف الحكومي في الرواية المدروسة.

«بررسی ریشه‌های خشونت در الجزائر ده نود» (دراسة جذور العنف في الجزائر في حقبة الستعينات) (١٣٨٨): للباحث أحمد دوستمحمدی. يذهب الباحث إلى أنّ جذور العنف في الجزائر تعود إلى قضايا مثل: الآثار الثقافية السلبية للمستعمِر في الجزائر، القضايا الاقتصادية والتعارضات الاجتماعية، الإسلامويّة المتطرفة، الإرهاب وتأسيس الحكومة العسكرية.

كما توجد رسالة ماجستير بعنوان «حداثة السرد والبناء في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج»، جامعة بوضياف– الجزائر، (٢٠٠٩)، للباحثة آمال سعودي. تبحث الباحثة السرد والبناء فتستنتج أنّ الإرهاب، الموت، العبث والمثقف من المواضيع الرئيسية في هذه الرواية وهيمنت فيها المتفاعلات النصية مثل الإعلام والأدب والتاريخ والدين.

وتغفل هذه الدراسات معالجة جدليّة العنف والمثقف في رواية «ذاكرة الماء» وتفتقر إلى دراسة جذور العنف وردود فعل المثقفين وتجلياتها في إطار هذه الرواية، وبالتالي فإن دراستنا من هذه الناحية تمثل نظرة جديدة للرواية. فعلى الرغم مما كُتب حول واسيني الأعرج، إلا أنّ فنه الروائي بحاجة للدراسة والقراءة المستقلّة.

واسيني الأعرج ورواية «ذاكرة الماء»

ولد واسيني الأعرج في سنة ١٩٥٤م في إحدى ضواحي مدينة تلمسان. هو الروائي والأستاذ الجامعيّ ويدرّس في الجامعة المركزية للجزائر وجامعة السوربون الفرنسية، ويكتب رواياته باللغة العربية والفرنسية. رواية ذاكرة الماء تتشكل من فصلين «الورد والسيف» و«الأقدام والأصوات». تسرد الرواية، من حيث الزمان: من الساعة ٤صباحاً حتى ٥:٥٨ مساءً، باستعمال تقنية الاسترجاع والتذكر، تحوّلت إلى رواية في ٣٤٤ صفحة والشخصيات هي: موح (أستاذ جامعي)، مريم (أستاذة جامعية وزوجة موح)، ريما وياسين (أولاد موح ومريم)، فاطمه (صحفية)، نادية (صحفية)، يوسف (شاعر وفنّان)، نوّارة (خطيبة يوسف). تتلخّص الرواية بما يلي:

موح ومريم، أستاذان جامعيان، يتسلّمان في يوم من الأيام في صندوق بريدهما في الجامعة، طرداً بريدياً يحتوى على عبارات تهديدية، وتتواصل هذه الرسائل التهديدية باغتيال الأساتذة من قبل المتطرّفين الدينيين، لذا تقرر مريم أن تغادر البلد إلى فرنسة، لكن موح يصرّ أن يبقى في البلد. فتغادر مريم إلى فرنسة مع إبنهما "ياسين" ويبقى موح مع إبنتهما "ريما". يشاهد موح يوميّاً الصراعات وأعمال الشغب في الشوارع والتفجيرات واغتيال العديد من المثقفين؛ من قبيل الشعراء، الفنانين، الأساتذة والصحفيين. وفي يوم الثلاثاء كان على موح أن يذهب إلى الجامعة والمطبعة والجنازة، لكنّه كان يحسّ أنّ الموت خلفه. يرجع إلى منزله مساءً ويرى أمام منزله ثلاثة شباب ويشعر أنّ امرأة تلاحقه، لكنّه، في النهاية، يفهم أنّه كان واهماً، وذلك بسبب الضغوط التي تحمّلها من الصباح. فلم يلاحقه أحد ولا يوجد شبان ثلاثة.

١) المثقّف وأنماط العنف

تحتوي الرواية الجزائريه موضوع العنف ويمكن أن نزعم أنّ «معظم روائيّ التسعينيات يؤرخون أزمة المثقّف الذي أصبح هدفاً لعمليات العنف»[١]. والأعرج يعكس العنف من خلال شخصياته الروائية ويرسم ملامح المأساة الوطنية رسماً عميقاً. يقوم بإدانة العنف من جانب السلطة والدين والرجال. أمّا أنماط العنف التي يواجهها المثقف كما وردت في نصّ الرواية فهي: العنف السياسي، العنف الديني والعنف الجنسيّ.

أ) العنف السياسي:

تنعكس القضايا التاريخية والسياسية في الأدب، لذا فالأدب والواقع والسياسة ترتبط ببعضها بصلة قويّة، فالرواية التي تكتب في فترة الأزمات تأخذ مادّتها بالطبع من بيئتها. وها هو الأعرج يتخذ من الحوادث السياسية للجزائر وعنف السلطة السياسية إزاء المثقفين مضموناً لروايته.

تتنوع التعاريف المتعلقة بمفهوم العنف السياسي ويوجد شبه اتفاق بين أغلب الدارسين لظاهرة العنف السياسي على أنّ العنف يصبح سياسياً عندما تكون أهدافه سياسية، لذلك فإنّ أغلب الباحثين يعرفون العنف السياسي بأنّه «استخدام القوة الماديه أو التهديد بإستخدامها لتحقيق أهداف سياسية»[٢]. هناك من يعرف العنف السياسي بأنه «اللجوء إلى القوة، ضدّ الأشخاص أو الأشياء، لإحداث تغيير في

---

[١]- بلعلي، **المتخيل فى الرواية الجزائرية**، ص١٧١.

[٢]- توفيق، **ظاهره العنف السياسي في النظم العربية**، ص ٢٧.

السياسة، في نظام الحكم أو في أشخاصه، ولذلك فإنه موجه أيضاً لإحداث تغييرات في وجود الأفراد في المجتمع، وربما في مجتمعات أخرى»[١].

يمكن تصور حركة العنف السياسي بين القوى التي يمكن أن تمارسه على النحو التالي: «١) العنف الموجه من النظام إلى المواطنين أو إلى جماعات وعناصر معينه منهم، وذلك لضمان استمراره وتقليص دور القوى المعارضة له، ويعرف العنف في هذه الحالة باسم العنف الرسميّ أو الحكوميّ. ٢) العنف الموجه من المواطنين أو فئات معينة ويتخذ العنف في هذه الحالة شكل التظاهرات والإضرابات والإغتيالات والإنقلابات ويعرف بالعنف الشعبيّ أو غير الرسميّ»[٢].

في رواية «ذاكرة الماء» نشهد العنف الشعبيّ والعنف الرسميّ في ظلّ الاضطرابات السياسية في الجزائر. ففي هذه الرواية حينما يتكلم الناس والمثقفون عن القوات الحكومية يسمونها ببنى كلبون[٣]. كما يشير الأعرج إلى دور السلطة في أحداث العنف والأسباب التي أدّت إلى العنف في الجزائر فيمتزج في هذه الرواية المتخيل والواقع ويستدعي حادثة تاريخية في تاريخ الجزائر هي المواجهات بين المتظاهرين ورجال الأمن في حوادث أكتوبر ١٩٨٨م.

«حادثة أكتوبر وقعت في عهد الرئيس «الشاذلي بن جديد» الذي صار رئيساً بعد الرئيس «هواري بومدين». اتخذ الشاذلي الفضاء السياسي المفتوح وكان يريد أن يبدّل الجزائر إلى يابان على البحر الأبيض المتوسط، لكن الفساد الإدارى وشيوع البطالة وفّر المجال للمشاغبات والاضطرابات الداخليّة ونموّ التطرف الإسلاميّ. في ٤ اكتبر ١٩٨٨م قام تلاميذ المدارس بمسيرة وإتصلت إليهم الشرائح المختلفة للمجتمع وأدّى الأمر إلى العنف والهجوم على القوى الحكوميّة في ١٠ أكتوبر، عشرات من مؤيدي "جبهة الإنقاذ الإسلاميّة" قاموا بمسيرة سلميّة وأعلنوا مطالباتهم السياسية ثم حصل إطلاق رصاص من سيارة على قوات الجيش، فقام الجيش بإطلاق الرصاص المتبادل على الناس وقُتل ١٥٩ شخصا وأصيب ١٥٤ شخصا»[٤].

لذا يشير الراوي (موح) من خلال مشاركته في جنازة يوسف، إلى هذه الحادثة التي كانت من الأسباب الرئيسة لظاهرة العنف في الثمانينات وبالتالي التسعينات. إذ إن يوسف مثقف جامعي وشاعر وفنان، وناشط ضدّ العنف السياسي والعنف الديني، ويحبّ الفكرة الحرّة ويخطو خلف الحقيقة حتى الموت

---

[١]– هندريش، **العنف السياسي، فلسفته، أصوله، ابعاده**، ص ٢٢.

[٢]– توفيق، **ظاهره العنف السياسي في النظم العربية**، ص ٢٨.

[٣]– الأعرج، **ذاكرة الماء– محنة الجنون العاري**، ٦٩.

[٤]– محمدي فر، **الجزائر**، ص ٤١؛ بن عروس، **الإسلاموية السياسية، المأساة الجزائرية**، ص ١٠.

ويعكس المظالم السياسية والدينية في شعره. لكن بعد مرور السنوات، الناس والصحف ينسون حادثة أكتوبر. لذا يخاف يوسف من صمت الشعب إزاء هذه الحادثة فيحاول أن يقدّم تقريراً إلى موظّف منظّمة حقوق الإنسان حول هذه المأساة الوطنية التي تُقتلع فيها الآلات التناسلية للأطفال وتلاميذ المدارس وتقوم الحكومة بتعذيبهم. إلا أن يوسف يُغتال من قبل المتطرف الديني في اليوم الذي كان فيه على موعد مع الموظف. يقول يوسف حول هذه القضيّة: «أنا مجنون بالنور، في هذه البلاد لم أرَ إلّا ظلام الحفرة وظلام السجن وظلام مستشفى المجانين. يخافون من الناس ومن التحركات الشعبيّة. الذين يمكن أن يزعجوهم من مثقفين وفنانين ونقابيين دفنوهم في الحجز بدون مبرر ... وخرج الناس للشارع، خربقوا الحسابات ولكن سرعان ما عادت الأمور إلى نصابها ... أنا أتساءل كيف يمكن للذي عذّب الأطفال ونزع أظافرهم وأعضاهم التناسليّة وألسنتهم واغتصب الكثيرين منهم أيّام أحداث أكتوبر ...»[١].

إذن يوسف ليس بعيداً عن الواقع بل يعيش في المجتمع ومع الناس وحينما يرى صمت المجتمع يقوم بدوره الخطير ويطمح أن يغيّر المجتمع ويخطو نحو حريّة التعبير ليصبح لساناً للمجتمع. لذا فالسبب الرئيسي لمواجهة يوسف للعنف السياسي هو أنّه يكتب ضدّ الحكومة ويفتح القضايا التي تريد السلطة أن تخفيها مثل تعذيب الطلاب الذين شاركوا في الحادثة، حيث ألقت الحكومة القبض على يوسف بسب نشر أشعاره وتقاريره وتم سجنه ثم إيداعه في مستشفى المجانين. وهكذا تسعى الحكومة لترغمه على الصمت وتصادر حريّة تعبيره.

أمَّا الحادثة التاريخيّة الأخرى التي يشير الأعرج إليها كسبب للعنف السياسي في الجزائر فهي إلغاء الانتخابات واغتيال الرئيس بوضياف: «من أجل اتخاذ الفضاء السياسي المفتوح في الجزائر، تشكلت الأحزاب مع نزعات جديدة. ومن بين الأحزاب كان حزب "جبهة الإنقاذ الإسلاميّ" أهمّها، حيث بدأ نشاطه كحزب رسميّ. وفي انتخابات حزيران ١٩٩٠م، في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد، فازت جبهة الإنقاذ. فقام الجيش بإيقاف المسار الانتخابيّ لانّه رأى في فوز التيار الديني خطرا على النظام الجمهوريّ، فنشبت الصراعات بين جبهة الإنقاذ والحكومة التي أصدرت أمراً باعتقال روؤساء جبهة الإنقاذ. في ١١ كانون الأول ١٩٩٢م، استقال الشاذلي بن جديد فوقعت السلطة في أيدى الجيش وتولّى محمد بوضياف السلطة، لكنّه اغتيل بيد ضابطه المحافظ في ٢٩ حزيران من نفس السنة. ووفقاً للتقارير الرسميّة قتل أكثر من ١٠٠٠٠ شخص في الصراعات بين أنصار جبهة الإنقاذ والقوّات العسكريّة»[٢].

---

[١]- الأعرج، **ذاكرة الماء– محنة الجنون العاري**، صص ٢٩٣ و٢٩٤.

[٢]- عباس، **الوطن والعشيرة، تشريح أزمة : ١٩٩١– ١٩٩**، ص ٦٦٨؛ محمدي فر، **الجزائر** ، صص٢٠ و٢١.

تقول نادية، إحدى شخصيات الرواية، حول ممارسة العنف السياسي ضد الرئيس واغتيال بوضياف أمام ملايين من شهود العيان: «الحكومة ما تزال في حماقاتها الأولى ... شاطرون فقط في متابعة مدراء الجرائد عن التجاوزات التي لا يعلنون عنها ويطلقون سراح القتلة والمجرمين. مافيا قتلت رئيسا أمام ثلاثين مليون شاهد ومع ذلك لم تجد شاهدا واحدا ليؤكد الجريمة، صمتت بعدها على قتلة وكأن شيئا لم يكن، ثم اغتالت وزيرا مفكرا، ومن ثم اغتالت رئيس الحكومة. أمام الديمقراطية مسافة كبيرة»[١].

نلحظ ها هنا أن نادية تشير إلى دور الحكومة في العنف السياسي وازدواجية موقفها من القاتلين، فهذه الحكومة تطارد الذين يرفعون أصواتهم ضدّها وتغض الطرف عن القتلة والإرهابيين، وبحسب رأي نادية فالسلطة السياسية والقاتلون هما وجهان لعملة واحدة ولا فرق بينهما، إلا أن نادية لاتكتب ضدّ الحكومة مثل يوسف بل تندد بها قلباً وعقلاً دون لسانها أو يدها، لأنّها تعمل في الصحف الحكوميّة وتخاف أن تفقد عملها.

أشكال العنف السياسي ضدّ المثقّف

الحكومة في هذه الرواية لا تحارب المثقف الذي يساير إيديولوجيتها، بل تحارب المثقف الملتزم بدوره الحقيقي في المطالبة بحقوق الشعب، لأن المثقف الملتزم يقوم باستجواب السلطة ونقد أعمالها، لذا تمارس العنف السياسي ضده لإخضاعه، وتلجأ إلى ترهيبه وتخويفه بشكل مباشر من خلال ما يلي:

الاعتقال والاتهام بالجنون: إذ ينشر يوسف أفكاره من خلال أشعاره وكتاباته، فقامت السلطة باعتقاله وإيداعه في مستشفى المجانين، وهي تبرر عملها هذا أمام الشعب والجماهير بأنه مجنون ويمثل خطراً على المجتمع والناس. فنراها تنعته بالجنون وهي صفة مناقضة للمثقف الواعي بشؤون مجتمعه وحقوقه ومسؤولياته، والحكومة بذلك تسعى لتشويه صورة المثقف.

السجن: يقول موح حول اعتقاله في السجن: «في مطلع السبعينيات سجنتُ ولم أكن في الحقيقة أعبّر إلّا عن احتجاجي مع أصدقائي. كان الاتحاد الطلابي يُحلُّ والطلبة يطاردون ومسؤولو الاتحاد يقتلون واحداً بعد الآخر. في مطلع الثمانينات عندما سُجن المخرج السينمائي رشيد بن إبراهيم وخرجنا في مسيرة صامتة داخل شوارع العاصمة، خرجت ليلاً من بيتي ولم أعد إلا بعد ثلاثة أيّام»[٢].

---

[١]– الأعرج، **ذاكرة الماء– محنة الجنون العاري**، صص ٢٦٩ و٢٧٠.

[٢]– **المصدر نفسه**، ص ٧٣.

ب) العنف والتطرف الديني

بسبب الهيمنة الفرنسية على الجزائر طوال ١٣٢سنة، ظهرت مجموعة من العيوب الدينية والأخلاقية تجلت في الأخلاق وسلوك الشخصيات والمثقفين والمثقفات الذين تطرّفوا في السفور وشرب الخمر والعلاقات الليبراليه والانحطاط القيمي وممارسة أعمال منافية للتقاليد الاجتماعيةّ؛ فهذه الشؤون جعلت المثقّف الجزائري والمتطرّف الديني في تيّارين متضادين يرى كل منهما الآخر عدواً.

يعتقد البعض أنّ «الأفكار المتطرّفة ناشئةٌ عن الوهابيّة والاحتذاء بأفكار ابن تيميّة، ويعتقد البعض أنّ فقر المعرفة الدينية في الجزائر هو السبب الرئيسيّ للعنف، وبحسب رأي هؤلاء الأشخاص ينبغي لنا أن نبحث في جذور هذا الأمر في السياسات التعليميّة في فترة الاستعمار الفرنسي التي وفّرت الأسباب لانفصال الجزائر الثقافيّ عن البلاد الإسلاميّة والعربية. وحقيقة الأمر أنّ الجيش الأمنيّ الفرنسي خلال سنوات الاستعمار كان السبب الأساسي للعنف في الجزائر»[١].

كما ذكرنا، بعد إلغاء الانتخابات من جانب الجيش، اصطدمت الحكومة وجبهة الانقاذ ودخلت الجزائر مرحلة العنف الخطير وسببت خسائر ماديّة جسيمة. إنّ ظهور الجبهة الإسلاميّة للانقاذ كان نتيجة للتدهور المخيف للظروف الاجتماعية والاقتصادية، فلجأت الجماهير لهذا التيار الديني المتطرف. «التيار الديني المتطرف والراديكاليّ الذي قاد هذه الحركات الإجتماعية إلى مواجهات عنيفة، ليس مع الدولة وأجهزتها فقط، بل مع الكثير من القوى الإجتماعية الأخرى مولداً حالة العنف التي ساهمت في تفريخ الإرهاب الذي ضرب بقوّة بين صفوف أبناء الفئات الشعبيّة»[٢].

أشكال العنف الديني ضدّ المثقّف

يتمثل هذا العنف في العنف المباشر والعنف الروحيّ مثل:

الملاحقة وإرسال الرسائل التهديدية: إذ نجد إن موح يتسلَّم طروداً كثيرة من جانب المتطرفين، وفي أحد هذه الطرود حينما يفتح الرسالة يواجه تهديدا مباشرا: «أيها الطواغيت الصغار. سترون أيّ منقلب تنقلبون... الإنذار الأخير»[٣]. ومن أدوات المتطرفين ملاحقة الأشخاص والمثقفين فحينما يخرج موح من بيته، يشعر بظلّ خلفه، فيرجع ويرى شابّا، يرتبك الشابّ فيقول: «سألتُ شباب الحيّ، فوجهوني نحوك.

---

[١]- دوستمحمدی، **بررسی ریشه‌های خشونت در الجزایر دهه نود**، صص ٢١٧ و ٢١٨.

[٢]- عباس، **الوطن والعشيرة، تشريح أزمة : ١٩٩١– ١٩٩٦**، صص١٥٨ و ١٥٩.

[٣]- الأعرج، **ذاكرة الماء– محنة الجنون العاري**، ص ٥١

كنت أعمل سائقا لسيارة أجرة والآن بدون عمل، فهل تستطيع مساعدتي للحصول على عمل»[١]. في مرّة أخرى يأتي ذلك الشابّ إلى مدخل البناية التي يسكنها موح ويبحث في صناديق البريد فيلقي رسالة في صندوقه ويتذكر موح هذه القصاصة في صحيفة: «لقد تمّ التعرف على أحد قاتلي المفكر بوخبزة مدير الدراسات الإستراتيجيّة وكان قد جاءه قبل أيّام يطلب منه المساعدة للحصول على عمل، ووعده الأستاذ ببذل مجهود خاص للحصول على عمل. جريدة الوطن (...) ١٩٩»[٢]. فيتذكر كيف قتل المتطرفون بوخبزة الذي سبق وجاءه شاب يطلب منه عملاً. لذا يشعر موح بأنه مهدّد بالموت من جانب المتطرّفين، وبعد تلقيه للرسالة التهديدية الأخيرة، يعيش موح في برزخ الحياة والموت.

الاغتيال: يتمثّل الإغتيال في قتل يوسف الذي يكتب ضدّ العنف الديني في أشعاره ويفضح جرائمه، ويشكّل إغتياله في بيته أمام النوّارة وأخيه أبشع تصوير للعنف الديني. يُقتل كأنّه خروف وإبتداءً يذبح ويقطع رأسه بالسكين ثمّ يطلق الرصاص على قلبه. وقتله بهذه الطريقة يدلّ على أنهم يخافون مخّه وقلبه الرومانتيكيّ.

الإنذارات: كالخطاب الذي يُكتب على أسوار المدينه والمحلات من جانب المتطرّفين. فتحولت حيطان المدينة الى لوحات تقرأ عليها كلّ التخويفات. ففضاء المدينة مخيف حينما تُلصق ملصقات من جانب المتطرّفين: «غداً يوم الثلاثاء اليوم الذى يُخرجُ فيه القتلة عادة سكاكينهم لذبح المثقفين. كتبوا على حيطان المدينة وفي المحلات وعند بوابات الساحات والمقاهى الشعبية: أيّها الشيوعيون. ستذبحون حتى ولو تشبثتم بأستار الكعبة. قل إنّ الإرهاب من أمر ربّي. أيها الكفرة يد الجهاد ستطالكم حتى ولو كنتم في حصون منيعة أو تعلّقتم بأستار الكعبة. وقل إنّ الإرهاب من أمر ربّي. لن يبقى لائكي واحد في هذا البلاد الطاهرة، بلاد الإسلام والفتوحات»[٣].

وهكذا نلاحظ أنّ هذه الجمل تتضمن شحنة كبيرة من الحقد والسطحيّة والتهديد والتطرف، وأنّ المتطرفين يدمجون إنذاراتهم بالاقتباس من نصّ القرآن، وهكذا يبرّرون أعمالهم الإرهابية العنيفة ويستخدمون كلمات مثل الذبح والإرهاب استخداماً مباشراً، ومن خلال هذه التهديدات نرى فهمهم السطحي للآيات القرآنيّة من أجل تبرير أعمالهم.

---

[١]– **المصدر نفسه**، ص ٢٠.

[٢]– **المصدر نفسه**، ص ٢١.

[٣]– **المصدر نفسه**، صص ٥٠ و ٢١١.

الشعور بفقدان الأمن: يقول موح: «فالإحساس بأن يداً وعيناً تراقب فرحتنا وإصرارنا على الحياة وتحاصر خلوتنا لم يغادرنا أبداً، أصبح جزءاً من حياتنا الداخليّة، لا نمشي إلّا به. تآلفنا معه مثلما نتآلف مع أيّ مرض خطير لنستطيع العيش وممارسة الحياة»[١]. كما تمثل الملاحقة نوعاً من أنواع التعذيب النفسي وتتسبب بشعور موح بانعدام الحريّة وإحساسه بأنه سجين في فضاء مفتوح، كما يرى موح في هذا الإحساس مرضاً خطيراً وعليه أن يتعوّده. لكنّه رغم ضيق الحياة لا يلجأ إلى الانعزال، بل يخرج من بيته وينشط.

٢) ردود فعل المثقفين أمام العنف

بعد دراسة أنماط العنف نبحث جدلية المثقّف والعنف. يقول يابوش: «النخبة المثقفة وجدت نفسها في وضعيّة جدّ خاصّة وحرجة، حيث تعرضت من جهة لسكين الذبح والتقتيل، حيث ذهب كثير من المثقفين والمفكرين والإعلاميين ضحايا في ظل ظروف غامضة غير واضحة والبعض فضّل السفر، في حين بقي البعض الآخر يندد أو يوافق، يعارض أو يعاضد»[٢]. اختلفت ردود أفعال المثقفين حول العنف فاختلفت خياراتهم أمام ما يحدث والمثقّف في هذه الرواية هو الملتزم أو الانتهازيّ أو الصامت والمحايد أو المهاجر.

أ) الالتزام

تتميز شخصية المثقّف الملتزم، بالوعي واليقظة، لذا يناضل المثقفون من هذا النوع من أجل إفشاء الحقيقة ويضحون بحياتهم في هذا الطريق. إذ يعمل هذا المثقّف الملتزم، على توعية أبناء المجتمع بحقوقهم. ومن هؤلاء المثقفين في الرواية شخصيتا موح ويوسف اللذينِ لا يغمضان عينيهما على الحقيقة رغم التهديدات التي يواجهانها من قبل السلطة والمتطرّفين الدينيين.

فيوسف أحد الأعضاء الناشطين ضدّ العنف السياسي، لايستطيع أن يتحمل أجواء الموت المسيطرة على الجزائر ويدعو إلى إحلال السلام، خاصة بالنسبة للأطفال والتلاميذ. وهو يشير إلى العنف في أشعاره ويواجه العنف ويُعتقل ويُسجن من جانب السلطة السياسية وفي النهاية يقتله المتطرّف الديني، إذ يزوره الموت في داره، وهذا هو مصير كل مثقف ملتزم مناضل، فنراه يقف وحيداً أمام العنف، يواجه الموت فيقتل ويذبح ثمناً لمعارضته للعنف.

---

[١]- **المصدر نفسه**، ص ١٦٠.

[٢]- يابوش، **الأدب ألجزائريّ الجديد التجربة والمآل**، ص ٢٢٣.

شخصية موح: يصرّ موح على البقاء في الجزائر رغم العنف، ويكتب حول العنف والواقعية الدامية في الجزائر، وهو يرغب بنشر كتابه بمساعدة أحمد صاحب المطبعة لكن أحمد لا ينشر كتابه خوفاً على حياة موح.

يخرج موح من بيته إلى الجامعة والشارع والمدينة، لا يدري هل سيصل إلى المكان المقصود؟ هل سيصل إلى البيت سالماً؟ تجري أحداث الرواية يوم الثلاثاء فيذهب موح إلى الجامعة، كما يريد أن يشارك في جنازة يوسف أيضاً، لذا يسيطر الخوف عليه في الذهاب والإياب، ونراه يمشي خطوة خطوة والخوف يملأ قلبه، ويتحول هذا الخوف المستمر لديه إلى وهم إذ يظن أن هناك من يلاحقه في طريق عودته إلى بيته.

أما عن الأدوات التي يستخدمها المثقف الملتزم لمواجهة العنف، فنجد أن يوسف وموح يختاران النضال الفني، دون اللجوء للكفاح المسلح، ويعود هذا الأمر إلى أنهما يكرهان الحرب والعنف، لذا فيكتبان ضد العنف في أشعارهما ورواياتهما، كما نجد يوسف يكتب تقريراً حول الأحداث العنيفة في الجزائر وها هو يوسف يُقتل وقلمه في يده يستعرض موتاً رمزياً يقول مخاطباً ريما :«يا ريما! نحن الفقراء لا نملك الشيء الكثير سوى كنز الكلمات الذي نورّثه لأصدقائنا. امّا الحكام، هؤلاء الذين يملاؤن التلفزات بوجوههم، سيندثرون ... لكن من ينسى اليوم: شكسبير، فلوبير، الحلّاج، عمر خيام... هؤلاء هم ذاكرتنا و ذاكرة الدنيا»[١]. لذا تمثل الكتابة في زمن العنف أداة ضدّ العنف.

ب) الانتهاز

من المثقفين من يلجأ في زمن العنف إلى الانتهازية وهؤلاء المثقفون هم الذين يضحُّون بالمصلحة العامة من أجل مصالحهم الشخصية. وقد أشارت الباحثة سماح إدريس في كتابها «المثقف العربي والسلطة» الذي درست فيه الروايات المصرية إلى أسباب وجود عدد ضخم من المثقفين الانتهازيين في نفس الروايات نحو: «١) الفقر ٢) رفض الروائيين للانتهازيين واشمئزازهم منهم ٣) حاجة الدولة للمثقفين الانتهازيين ٤) اعتماد أكثر المثقفين على حكوماتهم التي تسيطر على القسم الأعظم من سوق الصحافة (صحافة وإعلام) ٥) عبث المقاومة قد يعزو بعض المثقفين انتهازيتهم إلى عقم التصدي لجبروت الدولة»[٢]. وبدراسة هذه الرواية نستنتج أنّ المثقفين الانتهازيين يستغلون الفرص التي تتاح لهم لتأمين العمل والمال والأمن.

---

[١]– الأعرج، **ذاكرة الماء– محنة الجنون العاري**، ص ٢٤.

[٢]– ادريس، **المثقّف العربي والسلطة، بحث في روايات التجربة الناصريّة**، صص ١١٨– ١٢٢.

من أبرز المثقفين الانتهازيين في الرواية، زميل موح في الجامعة، وهو بائع مخدارت وذهب، ويعتقد أن كلّ الأشياء يمكن أن تشترى وتباع. إنهم يبيعون وهو يشترى فقط! فيشترى الدرجات الامتحانية ويحصل على درجة الدكتوراه دون تعب وجهد، كما كان خبرة في نشر الشائعات، فهو يبيع الحقيقة ويكسب ثناء الحكومة. وقد قرّر أن يغادر البلد مع أنّ الظروف ليست مهددة له، فقد سبق وكتب مقالات في ثناء الإسلاميّين وجبهة التحرير، كما كتب في الصحف سابقاأ:إن الأشخاص الذين يغادرون البلد هم الخائنون، والآن يريد هو نفسه مغادرة البلد!!! لذا فهذه الشخصية هي نموذج للمثقف الانتهازي الذي يغير آراءه تبعاً لمصالحه الشخصية ففي البداية كان ضد الهجرة، والآن يريد الهجرة، فهو يعتقد أن على الإنسان أن يساير الظروف والزمان، لأنّ قادة العرب يقولون: لكل مقام مقال. ونراه يقترح على موح أن يترك البلد. فقد أصبح هذا المثقّف تاجراً ورجلاً اقتصادياً بدلاً من أن يكون مثقفاً حقيقياً. لذا يمكننا القول إن الانتهازيين لا يخافون السلطة السياسية والدينيّة، بل يتعاونون معهما لأنّ هناك مصالح ومنافع متبادلة بين المثقف والسلطة، فالسلطة تحتاج إلى مثقفين يؤيدونها ويعبرون عن آرائها ويبررون أعمالها، والمثقف يحتاج إلى السلطة لتحقيق مصالحه الشخصية كالعمل والحصول على بيوت وشهادات علمية ونشر مقالاته في المجالات المعتبرة وتحقيق الشهرة والمال.

ج) الصمت أو الحياد

تتأثر النساء –في هذه الرواية– بالظروف السيئة في الجزائر أكثر من الرجال، ونحن نلحظ أنهن أكثر هشاشة وضعفاً أمام السلطة. فالمرأة المثقفة كما تقدمها الرواية ليست امرأة مكافحة، بل نراها تتعاون مع السلطة أو تستسلم لرغبات السلطة للحصول على العمل والمال أو تهاجر. والنساء المثقفات في هذه الرواية هن: نوّارة، فاطمة، مريم ونادية، إذ نرى أن فاطمة ونادية تفضلان الحياة العادية على قول الحقيقة، لذا فهما تميلان إلى الصمت إزاء انتهاكات السلطة، وتفضلان التطرق إلى الأشياء التافهة التي تبعث على تسلية الناس، ويعود صمتهما هذا إلى ضغوط تتعلق بالحصول على عمل والخوف من البطالة وفقدان لقمة العيش، وبالتالي فهما تتعاونان مع السلطة بشكل إجباري تحت إلحاح هذه الضغوط.

أما شخصية فاطمة، فهي موظّفة في وزارة الثقافة، وتنشط في قسم الفنّ والسينما والصحافة، ويعتقد موح أنّها تشغل بال الناس بشوون عديمة الفائدة، فهي تسافر دائماً ومشغولة بالتحضير لإجراء مقابلات ولقاءات صحفية مع الممثلين والفنانين من الجزائر والعالم، تاركةً الظروف المؤلمة للبلد[١].

[١]– الأعرج، **ذاكرة الماء– محنة الجنون العاري**، ص ١٧٧.

وشخصية نادية صحُفية أيضاً تعيش مع ابنتها، وهي تكره نشاطها في الصحُف لأنّها تعتقد أنّ الصحف تترك الأخبار والتيارات الرئيسية وتهتمّ بالهوامش، وحينما كتبت ضدّ العنف وبّخها مدير الصحيفة وهددها بفقدان وظيفتها. فاتخذت جانب السكوت والصمت. لذا يمثل الطرد من الوظيفة والتضييق على المثقف في رزقه واحداً من أدوات إخضاع المثقف من جانب الحكومة.

كما نجد في هذه الرواية بعض الأساتذة، خارج الفصول الدراسية، غير مهتمين بالتعامل مع العالم. يعملون ويشاركون في البحث العلمي بحرية بعيداً عن ما يحدُث في المجتمع والعنف الذي يتعرض له زملاؤهم. وهم بالتزامهم لثقافة الصمت يؤيدون أعمال العنف. يقول الراوي حول هؤلاء المثقفين: «لم يثرني شيء مهم داخل هذه القاعة سوى تلك الكومة من الأستاذات والأساتذة الذين لا يغيرون مواقعهم طوال السنة، لم يحركهم أي شيء، لا الإضرابات ولا الموت، ولا حتى سقوط زملائهم الذين يتحدثون بكثير من الحماس عن اغتيالهم ... يتهاوشون في مسائل فقهية تافهة: هل الضرطة تدفع بالضرورة إلى الوضوء الكبير؟ ...»[١].

أما سبب صمت هؤلاء الأساتذة، فيمكن أن يرجع إلى عدة أمور من قبيل الخوف من المتطرفين، عدم مبالاتهم بما يجري في مجتمعهم، والرغبة في كسب رضا السلطة أو الخوف منها. كما أن عدم الاكتفاء الذاتي وفقدان المثقف للاستقلال الاقتصادي وحاجته إلى الحكومة التي يعمل عندها، يؤدي إلى صمت المثقف أمام العنف، وحينما لا يقوم المثقف بدوره الحقيقي، ينهار بوصفه مثقفاً أمام إغراءات السلطة أو الرهبة منها.

د)المهاجرة

أما الشخصيات التي تختار الهجرة فهما شخصيتا مريم وأحمد، ومريم هي زوجة موح التي تقرر الهجرة إلى فرنسة، وتحاول إقناع موح وابنتها ريما بالهجرة أيضاً، لكن موح لا يقبل بالهجرة وتبقى معه ريما، بينما تلجأ مريم وابنها ياسين إلى فرنسة فتعيش هناك مع إحساس النفي والاغتراب ويظل بالها مشغولاً بالجزائر وزوجها موح وابنتها ريما. أما شخصية أحمد فهو صاحب مطبعة وهو مهدَّد ومعرض للملاحقة لنشره كتباً شيوعية، لذا يقرر مغادرة الجزائر إلى تونس: «الناس يعرفونني و الكثير منهم يعتبرونني مروجاً للكتب الشيوعية كما قيل لي. يا خويا تعبتُ. بدأتُ أفكر في بيع كلّ شي و السفر الى تونس. هناك إمكانية كبيرة لتنشيط مشروع النشر. تعرف أنّي لا أستطيع أن أبقي هكذا مكتوف الأيدي»[٢].

---

[١]– **المصدر نفسه**، ص ٥٩.

[٢] - **المصدر نفسه**، ص ٢٥٣.

٣)تجليات العنف

أ) في الفضاء الروائي

مما يلفت الانتباه في هذه الرواية اهتمام الكاتب بالمكان، أي الأمكنة التي يتجلّى فيها العنف. فيستخدم الأعرج الفضاء الروائي لسرد العنف ووصفه، وهكذا يأخذ العنف الموجود شكلاً أدبياً. ففي رواية ذاكرة الماء يتسرّب العنف إلى المكان وأشخاصه ويتجلّى في فضاء الرواية الذي هو فضاء الموت والقهر والاستلاب. فالعنف يتمثّل في الفضاء الروائي مثل: مدينة الجزائر، الشوارع والبيت.

المدينة: يرى موح المدينة، مكاناً حزيناً استولى عليه الموت، إذ تقع فيها الاغتيالات والمجازر، والإرهاب حتى تحولت إلى منطقة حربية بعد أن كانت رمزاً للحياة والأمل. لذا تحلم الشخصيات الروائية بمكان آمن تلجأ اليه وتحتمي به من أعاصير الموت. وليس اهتمام الروائي بمدينة الجزائر– التي تصير شخصية إنسانية تشهد العنف والمجازر وذبح أبنائها والإرهاب — اهتماماً اعتباطياً، بل يشير إلى تغيير فضاء مدينة الجزائر وأمكنتها، حيث يطلق موح على المدينة أسماء من قبيل المدفنة والقفر، يقول: «كان أمامنا يوم واحد فقط قبل العودة إلى **مدفنة كبيرة** اسمها المدينة»[١]. ويقول أيضاً: «أطمئن لنفسي. أحزن لهذا الوطن ويزداد يقيني أكثر بانّي لست بكلّ هذه الخطورة التي يتصورها الذين يريدون قتلى. مجرّد كائن بشريّ ضائع داخل **قفر** اسمه المدينة»[٢].

العنف في الشارع والحيّ: يتجلى العنف في الشوارع من خلال الصراعات والمظاهرات، مثل يوم اغتيال "عزيز"[٣]، الدركيّ الحكوميّ، الذي تم اغتياله في الشارع أثناء خروج الأطفال من المدرسة، فشاهد الأطفال عملية الاغتيال، حتى ربما كانت من المشاهدين، فتركت هذه الحادثة في أنفسهم آثاراً سلبية. ومن الاغتيالات التي تمت في الشارع أيضاً اغتيال شخصية "عبد الرحمن"[٤] بعد خروجه من منزله لشراء صحيفة.

فالشوارع تشهد أحداثاً عنيفة بين الشعب والحكومة والمتطرّفين الدينيين، إذ تشهد المظاهرات الشعبيّة ضدّ السلطة السياسية، كما صارت الشوارع محلاً للإرهاب والاغتيالات فها هو موح مضطر للخروج من بيته، والشوارع تغرق في بركة من دماء الأبرياء، يقول: «أقنع نفسي من جديد. يجب أن أخرج، إذا

---

[١]– **المصدر نفسه**، ص ١٢٩.

[٢]– **المصدر نفسه**، ص ٧٣.

[٣]– **المصدر نفسه**، ص ١٤٤.

[٤]– **المصدر نفسه**، ص١٩٩.

خرجت وانحدرت باتجاه المدينة، ستكون غايات الشوارع قد قادتني نحو الموت»[١]. فالشارع هنا يحمل دلالة الخوف ويصبح مسرحاً للموت، كما يبرز العنف في الشوارع من خلال أحداث أكتوبر ١٩٨٨م، التي شهدت فيها الشوارع مظاهرات سلميّة وغير سلميّة.

العنف في البيت: يتحول البيت في هذه الرواية من مكان مغلق إلى مكان مفتوح يتسلل العنف إليه، فيصاب البيت بساكنيه بالعنف، فالعنف الموجود في المدينة يجبر المثقّف على العزلة والتزام البيت، ويتحول البيت من مكان للسكينة والراحة والطمأنينة إلى مكان موحش فيطلق عليه موح أسماء من قبيل القفر والقبر والحفرة، يقول موح: «ماذا أفعل؟ سأبقى مرة أخرى داخل هذا **القفر** الذي اسمه البيت؟ أم أخرج؟»[٢]. ويقول أيضاً: «يوسف قتل قبل يومين، الحضور إلى دفنه واحد من المبررات التي تلحّ عليّ للخروج من هذا **القبر** ... أشعر بأن هذا اليوم استثنائيّ وعليّ أن أقوم بكل الترتيبات الممكنة للخروج من هذه **الحفرة** ...»[٣].

وحينما يرجع موح إلى بيته متوهّماً، يظنّ أنّه ملاحق ويسمع خطوات وأصوات ودقّات شديدة على الباب ... فالبيت ليس مكاناً مغلقاً منعزلاً عن العنف، وبالتالي فالبيت ليس مصدر حماية يقي المثقف من الرعب والقتلة والإرهاب، فموح يرى نفسه وجهاً لوجه الموت دون أي وسيلة، كما أن يوسف يُقتل في بيته أيضاً، فالفضاء يعج بالعنف، ولا فرق بين العنف في الشارع والبيت، فالعنف يسيطر على المدينة بأكملها.

ب) في اللغة

ألقت الأحداث الدامية التي تجري في الجزائر بظلالها وآثارها على اختيار الكلمات في رواية "ذاكرة الماء"، فالكلمات لها رائحة الدم، فهي ترسم مشاهد القتل والمجازر والاغتيالات، وغلبت تيمة الموت والعنف على هذه الرواية، وانعكست هذه التيمة في الألفاظ، فالمعجم اللغوي الذي استخدمه الأعرج في رواية "ذاكرة الماء" ينسجم مع الموضوع وينقل أجواء العنف والإرهاب إلى القارئ. إذ «ليس العنف فقط فعلاً مادياً يمارسه الفرد ضدّ فرد آخر، بل هو أيضاً حدث لغوي أو فعل كلامي. فعلى المستويين المعجمي

[١] – **المصدر نفسه**، ص ١٦.

[٢] – **المصدر نفسه**، ص١٦.

[٣] – **المصدر نفسه**، ص ٤٨.

والدلالي، يُتلفظ بالعنف باستعمال طائفة من الكلمات التي تنتمي إلى قاموس مفردات السبّ والشتم والتهديد والتعنيف والتجريح»[١]. ويمكن مشاهدة اللغة العنيفة في المواضع التالية:

اللغة العنيفة الموجودة في الرسائل التي يرسلها المتطرّفون الدينيون إلى المثقفين: «أيها الطواغيت الصغار. سترون أيّ منقلب تنقلبون.... الإنذار الأخير»[٢]. وظاهره العنف والإرهاب من جانب المتطرّف الديني تحضر في الخطاب اللغوي الذي يكتب على أسوار المدينة: «أيها الكفرة، يد الجهاد ستطالكم حتى ولو كنتم في حصون منيعة أو تعلقتم بأستار الكعبة. وقل إن الإرهاب من أمر ربّي»[٣].

كما يتجلى في العناوين الداخلية: فالقسم الأول تحت عنوان: الورد والسيف، والقسم الثاني بعنوان: الخطوة والأصوات، حيث يقابل الأعرج بين الورد والسيف الذي يمثل أداة من أدوات القتل والعنف، وتتكرر مشاهد العنف وتشير الأصوات إلى نتائج العنف وآثاره النفسية، فموح بات يتوهم ويسمع أصواتاً ليست موجودة. فمن عتبة العناوين الداخلية، نلحظ لغة العنف والخوف.

يستخدم الأعرج الرواية كنوع أدبي ليستعرض الأزمة التسعينية فتصبح اللغة عنيفة كفضاء الرواية، فلغة الرواية تتاثر بلغة الواقع، فنرى الكاتب يستخدم الكلمات التي توحي بالعنف مثل: سكين، رصاصة، السكاكين، الرصاص، الحديد، القفر، منشار. «الموت هو الموت. نتسائل كيف ستكون نهايتنا؟ تحت سكين حافٍ، بواسطة منشار لقص البقر المذبوح أو برصاصات طائشة؟»[٤]

ج) في الذاكرة

أمّا التقنية الأخرى التي يستخدمها الأعرج لإبراز العنف في الرواية فهي الذاكرة، فيستعيد الراوي– موح– ذكرياته بقراءة الصحف الماضية. وأول ما يستوقفنا في الرواية هو العنوان الرئيسيّ الذي يتألف من لفظين: ذاكرة– الماء. لفظان مفردان وقد صدَّر الأعرج عمله بمقدمة حول العنوان يقول: «وهل للماء ذاكرة؟ هو ذاكرتي أو بعضها منها. ذاكرة جيلي الذي ينقرض الآن داخل البشاعة والسرعة المذهلة والصمت المطبق، ذنبه الوحيد أنه تعلّم، وتيقّن أنه لابديل عن النور في زمن قاتم نزلت ظلمته على

---

[١]– موهوب، **لغة العنف وعنف اللغة: مقاربة لسانية نفسية**، ص ٤.

[٢]– الأعرج، **ذاكرة الماء– محنة الجنون العاري**، ص ٥١.

[٣]– **المصدر نفسه**، ص٢١١.

[٤]– **المصدر نفسه**، ص ٥٥.

الصدور لتستأصل الذاكرة قبل أن تطمس العيون. هو مجرد صرخة من أعماق الظلام ضدّ الظلام ومن داخل البشاعة ضدّ البشاعة»[١].

هل للماء ذاكرة؟ بالطبع ليست للماء ذاكرة، فالعنوان ذو دلالة رمزيّة، فالماء رمز للطهارة والضوء والحياة. كما أن العنف المنتشر في المجتمع يشوه ذاكرة الماء المتمثل في البحر ولونه الأزرق، وموح يذهب كثيراً إلى البحر لينسى أزمة المدينة. فيوجد تطابق في العنوان والمضمون الروائي، فقد اختار الأعرج هذا العنوان ليدلّ على ذاكرة العنف وذاكرة الجزائر وذاكرة الجيل الذي شهد العنف وعاش في الثمانينات والتسعينيات.

مع عتبة الرواية نلحظ العنف من خلال الذاكرة التي يشير الراوي فيها إلى الزمن الذي كانت أمّ الراوي حاملةً به. حينما قالت العرّافة لأمه: «اسمعي... خامسك، أبشرك سيكون صبياً جميلاً ... تصدقي كثيراً وإلا سيموت بالحديد. قالت أمّي أيّ حديد؟ قالت العرافة: سكيّن، طائرة، سيارة. قالت أمّيّ: الرصاص انتهي مع الثورة، الطائرة بعيدة عنا، والسكين للجزّارين ... وها هو الزمن الميّت يعود، ويمتلىء رأسي بالسكاكين والرصاص والطائرات التي أركبها مجبراً والحديد الذي أصبح حقيقة قائمة تملأ الدماغ»[٢]. فالرواية في الواقع تمزج مصير المدينة وأشخاصها بالعرّافة ويصير مصير المدينة كما قالت العرافة، ويعيش موح (المثقف) بين تهديد الحدائد مثل السكين، المنشار، الرصاصة، السيف... وهذه النبوءة تلخيص لهذه الرواية والحوادث التي ستجري في الرواية، والنبوءة بشيوع القتل والعنف في الجزائر.

د) في الأحلام

كما نشاهد العنف في الأحلام، فيصف موح في بداية الرواية الكوابيس التي يراها وهي مشحونة بالعنف والخوف:«في الليلة التي مضت، رأيت أشياء كثيره في الحلم، أشياء محزنة: داستني سيارة فمزقتني ولكنّي في النهاية، استطعت أن أقوم مثل طفل متهور بعد أن جمعت نفسي، قطعة قطعة فقمت واستطعت أن أقف على قدمي. رأيت منشاراً يقطعني مثل قطعة خشب وأنا أضحك بصوت عال ... رأيت ذاكرتي وأنا أضعها أمامي مثل العلبة المسحورة، صممت على اقتحام سرّها، قفزت من داخلها حمامات وغربان ثمّ بحر أزرق والوان رمادية وأتربة صفراء ...»[٣].

---

[١]– **المصدر نفسه**، ص ٩ و ١٠.

[٢]– **المصدر نفسه**، ص ١٥.

[٣]– **المصدر نفسه**، ص ١٦.

إن تقنية الأحلام وسيلة لوصف الشخصيات الروائية من الداخل، فالفضاء الروائي مشحون في الواقع والخيال بالعنف، لذا ينعكس هذا الأمر في الأحلام ويصبح العنف كابوساً في النوم. فيرى موح نفسه مقطوعاً بواسطة منشار ومدعوساً بسيارة وهو يضحك، وذاكرته مثل العلبة التي تخرج منها حمامات الصلح وغربان العنف، فهذه الأحلام نوع من الانفجار السيكولوجي تنشأ عن التوتر والمشاعر المضطربة والصراع الداخلي، الناجم عن الفضاء الخارجي المفعم بالعنف، إلا أن هذه الأحلام والضغوط النفسية لا تحبط موح ولا تقتل أحلامه الحقيقية، فهو يقاوم هذه الأحلام كي لا تتحول إلى رؤيا تشاؤمية.

هـ) في الإعلام

يمثل الإعلام دوراً مهماً في خلق العنف في هذه الرواية، وذلك بنقل الأخبار العنيفة، فيسرد موح يوميات العنف في المدينة والمجتمع من خلال قراءاته للصحف التي احتفظ بها حتى لا تنسى هذه الحافظة الجريحة، وهذه الصحافة تسرد شتى ألوان العنف في الجزائر ابتداءً من سنة ١٩٦٥م حتى التسعينيات. فالعنف في الصحافة يعكس الصدامات السياسية والدينية في المجتمع وتزايد العمليات الإرهابية والاغتيال، فقد أضاف الأعرج إلى روايته الأخبار الصحفية حتّى يربط الرواية بالواقع. وفيما يلي القصاصات الصحفية المقتبسة من الجرائد الوطنيّة الجزائرية ومصدرها وصفحاتها كما جاءت في الرواية.

الصفحة	الحدث	مصدر الحدث
٦١	اغتيل البارحة في الحيّ الجامعيّ ... بالجزائر العاصمة الطالب كمال امزال بضربة سيف على راسه، أخذ على اثرها إلى المستشفى وهناك توفي ويبدو ان الذين قتلوه هم جماعة الإسلاميّين الذين يريدون السيطرة على الحيّ الجامعي	الوحدة ١٩٨(...)
١٣٥	لقد تمّ التعرف على أحد قاتلي المفكر بوخبزة مدير الدراسات الإستراتيجيّة وكان قد جاءه قبل أيام يطلب منه المساعدة للحصول على عمل، ووعده الأستاذ ببذل مجهود خاص للحصول على عمل.	المذياع
٤٧	وُجد الشاعر الفرنسيّ جون سيناك مذبوحا تحت طاولة الأكل، يُعتقد أنّ الجريمة هي مجرّد تصفيات خاصة.	المجاهد الاسبوعيّ ١٩٧(...)

إذن موح يربط القصاصات بنصّ الرواية، فعندما يواجه في الشارع الشابّ الذي يطلب مساعدته ليجد عملاً، يتذكر انتشار خبر اغتيال المفكر بوخبزة في الصحف، على يد الشخص الذي جاءه قبل أيام ليطلب منه المساعدة للحصول على عمل، وفي موضع آخر حينما يسمع من المذياع خبر إلقاء القبض على قاتل يوسف الشاعر، يتذكر اغتيال الشاعر الفرنسي جون سيناك، وتضم هذه القصاصات كما نرى أخبار قتل واغتيال المثقفين خاصة.

النتيجة

*ركزت هذه الرواية على جدليّة العنف والمثقف فأكثر شخصياتها من المثقفين (موح– مريم– يوسف– نادية– نوّارة)، أما أنماط العنف التي واجهها المثقف في هذه الرواية فهي العنف السياسي والعنف الديني.

* يواجه المثقفون كيوسف وموح الناشِطَين ضدّ العنف السياسيّ مجموعة من صور العنف مثل: الاعتقال والاتهام بالجنون والسجن والتعذيب، لكنّ هذه الأمور لاتمنعهما من النضال ضد العنف فيكتبان ضدّ العنف السياسيّ وينشران آثارهما.

* كان العنف الديني إزاء المثقفين أقسى لأنّ المثقفين والمثقفات تطرّفوا في السفور، شرب الخمر، العلاقات الليبراليه للرجال والنساء وممارسات ضدّ التقاليد الإجتماعية. وقد تمثلت أشكال العنف الديني ضدّ المثقّف في: الملاحقة، ارسال الرسائل العنيفة، الإغتيال، الإنذارات والشعور بفقدان الأمن.

*تنوعت ردود فعل المثقفين في هذه الرواية من خلال جدليّة المثقف والعنف بسبب اختلاف ايدئولوجيتهم.

* تغيب عن الرواية شخصية المرأة المثقفة التي تقف أمام أنماط العنف، وتقاومها وتناضل ضدها، فالمرأة المثقفة في هذه الرواية تختار الصمت والحياد خوفاً على نفسها وعملها وأسرتها أو الهجرة.

*المثقف الملتزم مثل يوسف وموح ينتقدان ظروف المجتمع وأعمال السلطة السياسية والدينية فيواجهان العنف من طرفين، ونهايته الموت او العيش تحت الضغط.

* يميل أكثر المثقفين إلى الانتهازية بدلاً من مواجهة العنف، فيبيعون الحقيقة مقابل الحصول على مناصب ومنافع.

*يستخدم الأعرج التقنيات الأدبية لإبراز العنف، فيتجلى العنف في الفضاء الروائي واللغة والذاكرة والأحلام والإعلام.

*يتجلّى العنف كثيراً في الفضاء الروائي واللغة، لذا انعكست ثيمة الموت والعنف في لغة الرواية، وانسجم المعجم اللغوي المستخدم في الرواية مع موضوعها، فنجحت اللغة في نقل مشاهد العنف للقارئ، وقد تمثل عنف اللغة في الرسائل التهديدية التي كان المتطرفون يرسلونها للمثقفين، وفي الألفاظ التي رسمت الفضاء الروائي العنيف من قبيل: السكين، الرصاصة، السكاكين، الرصاص ثمّ في العنوانين الداخليين للرواية: الورد والسيف – الخُطوة والأصوات.

* يستعيد موح ذكرياته العنيفة عن طريق قراءة الصحف والجرائد الماضية. ثم نرى عنف الذاكرة في العنوان الرئيسيّ للرواية الذي يتألف من لفظين وهما: ذاكرة- الماء ثمّ الذاكرة العنيفة للشخصيات.

* نلحظ تسرب العنف إلى العالم النفسي للأشخاص من خلال الأحلام، فيصف موح الكوابيس التي يراها وهي مشحونة بالعنف والخوف.

*يتجلى العنف في الإعلام من خلال نقل موح للصدامات السياسية والدينية في المجتمع، وأخبار القتل والعنف، وقد أتى الأعرج بالأخبار الصحفية حتّى يربط الرواية بالواقع.

قائمة المصادر و المراجع

١. أبوغزالة، هيفاء، **العنف ضدّ المرأة رؤيا مشتركة لأحداث التغيير**، مجلة المجلس الوطني لشؤون الأسرة، رقم ٢، ٢٠٠٨م، صص ١- ٨.

٢. إدريس، سماح، **المثقّف العربي والسلطة، بحث في روايات التجربة الناصريّة**، بيروت: دار الآداب، ١٩٩٢م.

٣. الأعرج، واسيني، **ذاكرة الماء- محنة الجنون العارى**، الطبعة الرابعة، دمشق: ورد للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.

٤. بلعلي، آمنة، **المتخيل في الرواية الجزائرية**، الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م.

٥. بن‌عروس، زهره، أمقران آيت ايدير، فلة ميجك، **الإسلاموية السياسية، المأساة الجزائرية**، الطبعة الأولى، لبنان: دار الفارابي، ٢٠٠٢م.

٦. توفيق، حسنين، **ظاهره العنف السياسي في النظم العربية**، الطبعة الثانية، بيروت: مركز دراسات وحدة العربية، ١٩٩٩م.

٧. حبيلة، الشريف، **الرواية والعنف، دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة**، الجزائر: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م.

٨. خمري، حسين، **فضاء المتخيل– مقاربات في الرواية**، الطبعة الأولى، الجزائر: منشورات الاختلاف، ٢٠٠٢م.

٩. دوست محمدی، احمد و زحمتکش حسین، «**بررسی ریشه‌های خشونت در الجزایر دهه نود**»، فصلنامه سیاست، دوره ٣٩، شماره ٣، ١٣٨٨ش، صص ٢٠١– ٢١٩.

١٠. عباس، محمد، **الوطن والعشيرة، تشريح أزمة: ١٩٩١– ١٩٩٦**، الطبعة الأولى، الجزائر: وزارة الثقافة، ٢٠٠٥م.

١١. محمدی‌فر، هادی، **الجزائر**، تهران: انتشارات وزارت امور خارجه، ١٣٩٢ش.

١٢. موهوب، مراد، **لغة العنف وعنف اللغة: مقاربة لسانية نفسية**، مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثالث عشر ثقافة الحب والكراهية، ٢٠٠٨م.

١٣. هندريش، تيد، **العنف السياسي، فلسفته، أصوله، أبعاده**، ترجمه: عبدالكريم محفوص وعيسى طنوس، الطبعة الأولى، بيروت: دارالمسيرة، ١٩٨٦م.

١٤. يابوش، جعفر، **الأدب الجزائريّ الجديد التجربة والمآل**، الجزائر: مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافيّة، ٢٠٠٧م.

دیالکتیک روشنفکر و خشونت و بازتاب آن در رمان "ذاكرة الماء" واسینی أعرج

اسماعیل نادری،* بی بی راحیل سن سبلی،** محمدمهدی روشن چسلی***

چکیده:

کشور الجزایر در دوران پسااستعماری با پدیدهی به نام خشونت مواجه شد که جان هزاران نفر از مردم الجزائر را به کام مرگ فروبرد. این خشونت ناشی از شرایط سیاسی، دینی و اجتماعی این کشور بود. در این شرایط، روشنفکران در کانون خشونت قرار داشتند. این مسئله در رمان نیز انعکاس یافته است. این پژوهش برآن است خشونت و مصادیق آن و دیالکتیک خشونت و روشنفکر را در گفتمان واسینی أعرج، رمان نویس معاصر الجزائری از خلال رمان «ذاكرة الماء» بررسی نماید. در این راستا بر روش توصیفی- تحلیل اتکا نموده است و نتایج حاکی از آن است که در این رمان روشنفکر با خشونت-های ذیل مواجه است: خشونت سیاسی، خشونت دینی. خشونت سیاسی در مواردی همچون: بازداشت، اتهام به جنون، زندان و شکنجه، نمود یافته است. اما این امور مانع از مبارزه روشنفکران علیه خشونت نشده است. انواع خشونت دینی مشتمل است بر: تعقیب، ارسال نامه‌های خشونت آمیز، ترور، هشدار و ایجاد احساس ناامنی. واکنش روشنفکران در مواجهه با خشونت متفاوت است که بیانگر اختلاف ایدئولوژیکی ایشان است: تعهد به وظیفه خود، فرصت‌طلبی، بی‌طرفی و سکوت و یا مهاجرت. خشونت نیز در فضای رمان، زبان، حافظه شخصیت‌ها، رؤیاها و رسانه‌ها متجلی شده است.

کلیدواژه‌ها: رمان الجزائر، واسینی أعرج، ذاكرة الماء، خشونت، روشنفکر.

* – استادیار دانشگاه پیام نور، ایران. (نویسندهٔ مسؤول) ایمیل: E.naderi@pnu.ac.ir

** – مربی جامعهٔ المصطفی العالمیهٔ، ایران.

*** – استادیار دانشگاه پیام نور ، إیران.

تاریخ دریافت: ۱۳۹۷/۰۹/۲۳هش= ۲۰۱۸/۱۲/۱۴م تاریخ پذیرش: ۱۳۹۸/۰۳/۱۵ هش= ۲۰۱۹/۰۶/۰۵م

The Discourse of the Intellectuals and Violence in the Algerian novel: The Case of Memory of Water by Wasiny Aredj

Esmail Naderi, Assistant Professor, Payamnoor University, Iran.

Bibi rahil sensebli, Lecturer at al-mustafa al-Alamieh university, Iran.

Mohammad mehdi roshan, Assistant Professor, Payamnoor University, Iran.

Abstract

Due to the political, religious and social factors in the post-colonial period, Algeria witnessed a violence which claimed the lives of thousands of Algerians. The academics and intellectuals were among the victims who were most frequently targeted by this violence. This experience is reflected in the literary works. They show this nation's tragic experience by combining reality and imagination. This article is based on a study of the phenomenon of violence and its manifestations in the intellectual and dialogic discourse of the novel, the *Memory of Water* by Wasiny Laredj, the contemporary Algerian novelist. In this study, the descriptive-analytical method has been used. The result of the analysis indicates that the violence brought up in this novel are of political, religious, sexual and types in a colonialist context. The disparate reactions of intellectuals to violence is as follows: commitment, opportunity, silence, neutrality or immigration. The occurrence of violence can be noticed from the atmosphere of the novel, its language, and the characters'' memories, and dreams.

Keywords: Algerian novel, Intellectuals, *Memory of Water*, violence, Wasiny Laredj,

The Sources and References:

1. Abu-Ghazaleh, Haifa**, Violence Against Women, A Common Vision for Change Events**, Journal of the National Council for Family Affairs, No. 2, 2008, pp. 1-8.

2. Edris, Samah**, Arab Intellectual and Power**, **Research in the Novels of the Nasserite Experience**, Beirut: Dar Al Adab, 1992.

3. Laredj, Waciny, **The Memory of the Water - The Tribulation of Madness**, Fourth Edition, Damascus: Ward for Printing, Publishing and Distribution, 2008.
4. Belali, Amina, **The Imaginary in the Algerian Novel**, Algeria: Dar Al Amal for Printing, Publishing and Distribution, 2006.
5. Ben Arous, Zuhra, Amghran Ayat Idir, Fela Mijak, **Political Islamism, The Algerian Tragedy**, First Edition, Lebanon: Dar Al-Farabi, 2002.
6. Tawfiq, Hasanayn, **The Phenomenon of Political Violence in Arabic poetry**, Second Edition, Beirut: Center for Arab Unity Studies, 1999.
7. Habila, al Sharif, **Novel and Violence, A Textual Study in the Contemporary Algerian Novel**, Algeria: The World of Modern Books, 2010.
8. Khimri, Hosein**, Imaginary Space - Approaches in the Novel**, First Edition, Algeria: Diffusion Publications, 2002.
9. Doost Mohammadi, Ahmad and Zahmatkesh Hosein, "**The Study of the Roots of Violence in Algeria in the 1990s**", Journal of Politics, Vol. 39, No. 3, 2009, pp. 201-219.
10.Abbas, Mohamed**, Homeland and clan, Crisis Resolution**: 1991-1996, First Edition, Algeria: Ministry of Culture, 2005.
11.Mohammadi Far, Hadi**, Algeria**, Tehran: Ministry of Foreign Affairs Publishers, 1392 p.
12.Moohob, Murad, **Language of Violence and Language Violence: A linguistic and psychological approach**, Philadelphia International Conference XIII Culture of Love and Hate, 2008.
13.Hendrish, Tid, **Political Violence, Philosophy, Origins, Dimensions**, Translated by: Abdulkarim Mahfouz and Issa Tannous, First Edition, Beirut: Dar al-Maseerah, 1986.
14.Yabush, Jafar, **New Algerian Literature Experience and Destiny**, Algeria: Center for Research in Social and Cultural Anthropology, 2007.